

تأثير الشعوبية على الديمقراطيات الغربية

م. م. محمود ياسين احمد

كلية العلوم السياسية، جامعة الانبار، الأنبار، 31001 ، العراق.

mahmood.yaseen@uoanbar.edu.iq

الملخص

تهدف الدراسة الى تبيان ما هو مفهوم الشعوبية كما تبيّن تعريفات لأبرز المفكرين والباحثين في ذات الشأن وعلى الرغم من تعدد تلك التعريفات الا انه لم يكن هناك تعريف جامع لهذا المفهوم، وكيف تطورت الشعوبية تاريخياً، من خلال البحث في مراحل تطور الشعوبية. كما ايضاً تبيان كيف اثرت الشعوبية على الديمقراطيات الغربية من خلال الآثار التي خلفتها ظاهرة الشعوبية على تلك الديمقراطيات سواء كانت اثراً سياسية او اقتصادية، ومن خلال تبيان تلك الآثار تم التطرق الى نماذج من تأثير الشعوبية على الديمقراطيات الغربية، وقد تمت الدراسة على نموذجين امريكي ونموذج الاتحاد الأوروبي.

الكلمات مفتاحية: الشعوبية، تاريخ الشعوبية، الديمقراطيات الغربية، نماذج.

The Influence of Populism on Western Democracies

Assist. Lect. Mahmoud Yassin Ahmed

Faculty of Political Sciences, University of Anbar, Anbar, 31001, Iraq.

mahmood.yaseen@uoanbar.edu.iq.

Abstract

The study aims to clarify the concept of populism, as well as to clarify the definitions of the most prominent thinkers and researchers in the same field. Despite the multiplicity of these definitions, there was no comprehensive definition of this concept, and how populism began historically, through research into the stages of the popular stage. It also explains how populism has affected Western democracies through the effects that the phenomenon of populism has had on those democracies, whether political or economic. In order to explain those effects, models of the impact of populism on Western democracies were addressed. Two models were studied: the American model and the European Union model.

Keywords: popularity, history of popularity, Western democracy, models.

المقدمة

تعد ظاهرة الشعوبية ظاهرة سياسية يشوبها الغموض، وتقتصر الى تعريف واضح ولهذا تعددت التعريفات بشأنها، فهي لا تقتصر على فئة معينة ولا على حزب ولا على نخب معينة، وهي ليست حكراً على نظام سياسي دون الآخر. ولهذا من الصعب تحديد تعريف واضح لدى المفكرين بشأنها. كما تعد ظاهرة متزايدة التأثير في مشهد السياسة الغربية في العقود الأخيرة. إذ تتسنم بقدرتها على جذب دعم الجماهير الكبير من خلال رفع قضايا مباشرة وتحفيز مشاعر الغضب والاحباط تجاه المؤسسات التقليدية والنخب السياسية. وانتشرت هذه الظاهرة بشكل كبير في الديمقراطيات الغربية وباتت تشكل خطراً متنامياً في الانظمة السياسية الغربية والديمقراطية والليبرالية، وبدأت ايضاً في الولايات المتحدة الامريكية وانتشرت بشكل كبير وأصبح الخطاب الشعوي هو السائد ولاسيما عند الرئيس الامريكي (ترامب).

اشكالية الدراسة

تنامت الشعوبية بشكل ملحوظ في المجتمعات الغربية لذلك ولدت مشكلات متعددة على الانظمة السياسية والديمقراطية، ولهذا تدور اشكالية الدراسة حول سؤال مركزي هو (هل أثرت الشعوبية بشكل كبير على الديمقراطيات الغربية؟) وهذا السؤال يتفرع الى عدة اسئلة هي:

- 1- ما مفهوم الشعوبية وتطورها التاريخي؟
- 2- ما هي الآثار الشعوبية على الديمقراطيات الغربية؟

فرضية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها (ان ظاهرة الشعوبية لها تأثير سياسي واقتصادي كبير على الديمقراطيات الغربية وانظمتها الديمقراطية والليبرالية).

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي في تحليل وفهم تأثير الشعوبية على الديمقراطية الغربية وكذلك المنهج التاريخي في معرفة السياقات التاريخية للشعوبية.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة الى معرفة مفهوم الشعوبية وكذلك سياقاتها التاريخية ومراحل تطورها، وكذلك تهدف الى معرفة تأثير السياسي والاقتصادي الذي تمارسه الشعوبية على الديمقراطيات الغربية، ثم تطرق الى نماذج مختارة من تأثير ظاهرة الشعوبية على تلك الديمقراطيات.

المبحث الأول

مفهوم الشعوبية وتطورها التاريخي

ظاهرة الشعوبية ليست ظاهرة جديدة لكن تجلت أكثر في بدايات القرن التاسع عشر وانتشرت في أكثر من دول العالم، وهي كمفهوم غامض لا يوجد تعريف محدد اما تعدد التعريفات بشأنها، وينقسم هذا المبحث الى مطلبين يشمل المطلب الاول مفهوم الشعوبية اما المطلب الثاني يشمل تطورها التاريخي.

المطلب الأول

مفهوم الشعوبية

ظاهرة الشعوبية من الناحية السياسية هي نمط في الخطاب السياسي، يتدخل فيه المستويان الخطابي والسلوكي بشكل وثيق، وقد يتفاعل هذا الخطاب مع عفوية تقوم على مزاج سياسي غاضب لجمهور فقد الثقة بالنظام والاحزاب السياسية القائمة والذئب الحاكمة، كما يوظف استراتيجية سياسية في مخاطبة هذا المزاج، هادفة الى احداث تغيير سياسي عبر الوصول الى الحكم ويتحول هذا الخطاب الى ايديولوجيا في الحالات المتطرفة [1].

كما أحدثت الشعوبية نقلة نوعية إذ انتشرت بين احزاب اليمين المتطرف هذا ما كان يفسر الشعوبية على انها ايديولوجية، وحسب تعريف (مولر) فإن الشعوبية (ايديولوجية سياسية) تشكك في شرعية النخب السياسية من خلال الادعاء بانها الممثل الحقيقي والوحيد للشعب، ومن ثم يميل الشعوبيون الى تقويض التعددية السياسية من خلال التشكيك في شرعية منا فيهم) [2].

ويرى كثير من الباحثين بأن الشعوبية مرض ينافق الديمقراطية الليبرالية، التي تعرف على انها عملية مؤسساتية لاتخاذ القرارات السياسية التي تمثل الخير العام، من خلال انتخاب اشخاص يعلمون لتحقيق ارادة الشعب، وبعضهم برأ الديمقراطية الغربية من آفة اليمين الشعوي التي تلقى مجالاً صغيراً للعيش في هذه المجتمعات، وهي بالنسبة الى علماء السياسة في الغرب مرض يظهر في الازمات واعادة ما تحال هذه الازمات الى ازمات الحادثة المختلفة، مثل العولمة، والمجتمع ما بعد الصناعة، والاقتصاد ما بعد الفوريدي أي ان هذه التفسيرات تحيل الشعوبية الى حركة تظاهر من هم في موقع الخاسر من نظام الحادثة القابضين من هذا النظام لعدم تلبية مطالبهم وتطيعاتهم [3].

ولقد قسم العلماء مثل كانوفان ومودي وستانلي ومولر الشعوبية الى بعدين، الاول بعد الفكر في التعامل مع الشعوبية وقد حددوا السمات الآتية باعتبارها سمة مميزة للأيديولوجية الشعوبية: اختزال الطبق الايديولوجي على المعارضية السياسية بين الشعب النقي والنخبة الفاسدة والدفاع عن فكرة متجانسة من الشعب وبدأ الاستمرار للسيادة الشعبية وضعف الايديولوجية. اما النهج الثاني الذي

يركز على اسلوب الشكلي/الاسلوبي للشعبوية وبنظر في كيفية صياغة الايديولوجية الشعبوية، ويشمل رموزا التي يتبعها الشعبيون، فضلا عن الطرق التي يمارسون بها دورهم السياسي مثل كيف يستفزون الناخبين ويحشدونهم ويمثلونهم [4].

وفي تعريف (جين مانسبريدج) للشعبوية يوضح على انها كلمة الشعب عامة الناس ولكنها تترك هويتها المفتوحة، والسؤال حول من يشملهم الشعب محل نزاع كبير في تاريخ الفكر السياسي، فهو يشمل في كثير من الاحيان المواطنين بالكامل او عامة الناس بالنسبة لمنظري الشعبوية، هذا يعني ان المواطن العادي او الرجل المزارع من اختلاف الهوية المحددة. وفي الولايات المتحدة الامريكية ان الشعبوية الاصلية كان الشعب يشير الى منتجي السلع هي فئة المزارعين والعمال واصحاب الاعمال الصغيرة وسكان الريف والحضر. منذ ذلك الحين يعني الشعب غالبا المجهودين والمغضوبين على نقىض النخبة الاقتصادية والسياسية والثقافية [5].

ومما تقدم يتبيّن لنا ان ما يجمع معظم دعاة الشعبوية هو مقاربتهم التبسيطية في استعمالهم لمفردة الشعب وادعاؤهم انهم صوت الشعب مع احتجارهم لتمثيله من دون مراعاة مفاهيم التقويض والتعاقد الاجتماعي فضلا عن تركيزهم على خطاب عاطفي لا يستند بالضرورة الى اسس موضوعية دقيقة فيكون الخطاب مبسط عاطفيا ويميل الى اثارة الحماس والهاب المشاعر ليتماشى مع المزاج المجتماعي السائد دون الاخذ بنظر الاعتبار اذا كان يجدي نفعا في ايجاد حلول جدية للمشكلات الواقعية، وهنا يتجسد جوهر الشعبوية في ذلك التلاعب بالعقل والمشاعر الذي يقوم به السياسي تجاه الشعب او اكثريته بهدف تحقيق مجموعة مصالح خاصة، فالشعبوية تشير الى استغلاله من قبل احزاب وشخصيات سياسية معينة من يدعون كونهم المتحدثين باسم الشعب بينما هم يعبرون عن مصالح الطبقات التي يمثلونها [6].

المطلب الثاني

التطور التاريخي للشعبوية

مررت الشعبوية من خلال تجاربها السياسية بمنعطفات عده اولها ما يعرف بالـ (الديماغوجية) وقد ظهرت تحذيرات من قبل الفلاسفة في بعض الديمقراطيات القديمة وصولاً الى الحديثة منها، وتجلت بشكل واضح في الديمقراطيات الديماغوجية وهي وفقاً لأرسطوديمقراطية تتجاوز فيها القرارات الجمعية القانون والفصيل الشعبي يأخذ نصيب الاعلى في الحكومة كجائزة انتصار ويحرضهم زعيم الشعب الديماغوجية على السعي وراء الاستبداد من خلال الخطاب المفرط واللعب على رغبات الناس ومخاوفهم. اما جمهورية افلاطون فقد عد الشعب بأنهم (الغوغاء المطهعون) وقد وضعوا رجالاً كزعيم خاص بهم وجعلوه يصبح عظيماً، حيث تأخذ الجماهير ممتلكات الآثرياء وهم اعداء الشعب لاعادة توزيعها فيما بينهم [6]. ومن خلال ذلك فإنها تاريخ الشعبوية من ثلاثة مراحل وهي [7]:

المرحلة الأولى: شكلت هذه المرحلة بداية الشعبوية الروسية في أعوام (1870- 1880)، التي جسدت في حركة من المتفقين والشباب المتحدرين من الطبقات الميسورة وحتى الارستقراطية نفذت مشاريع تحديد البلاد على الطريقة الغربية وأطلقت مشروع اً (الالتحام بالشعب) كما قول اعضائها، وكان اتباع هذه الحركة ان الفلاحين في روسيا سيشكلون قوة تجديد مائة لئن ذلك التي كان العرب ينتظرونها آنذاك من البروليتاريا. لقد تعلق الامر بما يمكننا تسميته "شعبوية النخبة" التي لم تحدث قط الجماهير الشعبية ذاتها. ولكن هذه الحركة تركت أثراً لافتاً إذ إن بعض أقطاب الفوضوية والماركسيه الروسية قد خطوا خطوتهم الاولى في رحابها.

المرحلة الثانية: بعد عقد من الزمن ظهر في اميركا "حزب الشعب" الذي لقب مؤيدوه بالشعبويين، وقد عمد الحزب الى تحشيد صغار الفلاحين في السهول الكبيرة، ضد شركات السكك الحديد وضد البنوك التي كانوا مدينين لها، وعرف الحزب نجاحاً في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر ولكنه لم يوفق على المستوى الوطني لفساد الطبقة السياسية ودعوته الى اعتماد ديمقراطية أكثر مباشرة. ولقد كان هذا الحزب حركة شعبية ولكنه ظل مشدوداً الى عالم زراعي محدود جغرافياً، ولم يتمكن من ان يشق له طريقاً الى الاوساط الانتخابية العمالية.

المرحلة الثالثة: ظهرت الشعبوية في اوروبا في مطلع القرن العشرين تزامن ذلك مع ظهور الانظمة الغير ديمقراطية، إذ كان ذلك مع التوسيع الاستعماري لتلك الدول (ألمانيا في حكم هتلر) من خلال نمو القومية العرقية التي كشفت عن الكساد والانقسامات الايديولوجية اثناء الحرب العالمية الاولى، مما ادى الى نمو الانظمة النازية والفاشية [8]. وفي حقبة ما بين الحربين العالميتين أخذت الشعبوية بالتجذر تحت تأثير أزمة الكساد الكبير، فقد كان هناك من جهة أولى جانب الاذلال الذي كان الشعور به أكثر حضورا في بعض البلدان، كما كان هناك تفكك اجتماعي من جهة اخرى يؤلف بين الاحباط الاجتماعي والرغبة في السلطة ويوحد هم، الامر

الذى جعل تقدير الرئيس بلا حدود، والتوجهات العرقية وأضحت راديكالية متجزرة، حتى ان اصداءها اخذت بالاتساع لتبلغ أميركا اللاتينية [9].

وفي هذا السياق، اخذت الشعوبية تزداد رسوحاً في العالم الغربي مع بداية القرن الواحد والعشرين، وضمن إطار زعزعة استقرار العولمة والتحركات الديموغرافية الكبرى ولاسيما الناتجة منها بفعل موجات اللاجئين والهجرات الدولية نحو اوروبا وامريكا الشمالية. فالشعبوية المعاصرة تعيش موجتها التاريخية الرابعة، وهي مختلف تماماً عن الموجات السابقة وتتخطى حدود مختلف الأقاليم والثقافات. إذ أنها تمت لتشمل الانظمة اليمقراطية والانظمة الاستبدادية، وفي دول الشمال كما في دول الجنوب. وتکاد تتبلور بعامة حول الخوف من ظاهرة العولمة بوصفها السبب المركزي للازمات الاقتصادية والسياسية والکوارث البيئية. أي ان نقد العولمة ومناهضتها هو الذي يمد الموجة الرابعة بأسباب الحياة والانتشار [10].

المبحث الثاني

ظاهرة الشعبوية وأثارها على الديمقراطيات الغربية

شكلت الشعبوية تأثيراً واضحاً على الديمقراطيات الغربية وعلى انظمتها السياسية وهذا التأثير سوف نتناوله من خلال مطلبين، يشمل المطلب الأول الآثار السياسية، بينما يشمل المطلب الثاني الآثار الاقتصادية.

المطلب الأول

الآثار السياسية

ظهرت الشعبوية كرد فعل على الديمقراطية باعتبار ان المؤسسات السياسية الديمقراطية وحتى الديكتاتورية غير قادرة على الاستجابة لاحتياجاتهم ومطاليبهم، وهو ما نتج عنه دعمهم للشعبوية كرد فعل لدعم الحركات المعاشرة مما ساهم في صعود اليمين الشعبي في جميع أنحاء أوروبا، وهنا تبرز اشكالية الخطر الذي شكله او قد يشكله صعود الشعبوية، فصعودها قد نشأ على عيوب الديمقراطية. ويرى البعض ان الشعبوية تهدد استقرار الديمقراطية باعتبارها نوع جديد من الفاشية وبين ما يراها عالمة على المرونة الديمقراطية لتصحيحها وجعل الانظمة السياسية أكثر ديمقراطية، ضمن هذا الإطار تبرز قاعدة البيانات العالمية التي تحمل عنوان "الشعبوية في السلطة 1990-2018" التي تقيس تأثير الشعبوية السابقة على الديمقراطية [11].

وكما يعتقد (عبد الله بلقزيز) ان الشعبوية ترافق الفوضوية والغوفية التنظيمية والتجريبية القاتلة في التفكير، وهي جماعتها امراض لازمت العمل السياسي منذ القرن التاسع عشر في الغرب، فأنتجت حالات سياسية باتولوجية من طراز الفوضوية الناقبية، وان اسوء ما في الشعبوية أنها تؤسس لميافيزيقا سياسية جديدة، بل قل لا هوت سياسي جديد، هو لا هوت الشعب، لذا يمكن القول ان الخطاب الشعبي يتالف من الآراء المعادية للنخبوية، ومعارضة المؤسسة الحاكمة، والتحدث إلى عامة الشعب [12]. كما حذر ارسطو من الخطر الذي تمثله العناصر والممارسات الغوغائية (الديماغوجية)، والتي تؤدي إلى حكم الغوغاء أو الرعاع، الذي يظهر عند تدهور نظام الحكم الديمقراطي أو الدستوري. ظهر حزب الشعب في نهاية العقد الأخير من القرن التاسع عشر الذي عرف باسم الحزب الشعبي والشعوبيين في الولايات المتحدة، كان قوامه من المزارعين الذين تضررت مصالحهم الاقتصادية فنشأ الحزب لتمثيلها والدفاع عنها، وحركة الناردنك في روسيا التي اعتمدت ايضاً على المزارعين الذين واجهوا وضع اقتصادياً مشابهاً، واتصفت تلك التحركات بمعاداة المؤسسات النظمية الديمقراطية ونخبة الليبرالية، وجادلت بتمثيلها بسطاء الناس والمهمشين ومصالح الوطن [13].

كما ان ظهور الشعبوية هو جزء من معادلة فشل النخب السياسية، ومن هنا يمكن تفهم تميز الخطاب الشعبي بالتبسيط للقضايا المعقّدة، وطغيان العاطفة وخلق دعو افتراضي يتم تطهير السياسي، ومن هنا فإن من أكثر مخاطر الشعبوية تحويلها لفصيل سياسي، إلى مثل لصوت الشعب، وبالتالي انزلاقها إلى ما يعرف بـ التحيز السياسي، كما ان اشتغالها في فترات الازمات كالحروب الازمات الاقتصادية يجعلها تستعجل النتائج، وبالتالي تحاول السيطرة على المشهد برمته، باعتبار انها الممثلة الوحيدة للإرادة الشعبية [14].

المطلب الثاني

الآثار الاقتصادية

لقد أخذ التيار الفكري للشعبوية منذ بدايات القرن التاسع عشر يناهض الانتاج المترعرع وذى النطاق الواسع، وراح يساند نموذجاً من التنمية يقوم على منشآت اقتصادية فردية وذات نطاق محدود في مجال الصناعة والزراعة [15]. كما يتضمن الخطاب الشعبي معاداة العولمة من خلال التركيز على الخاسرين في العولمة في مسائل الدخل والسكن وتأمين الوظائف ومزايا الرعاية الاجتماعية

وغيرها، وتدعى الشعوبية ان العولمة تولد اشكالاً جديدة من التفاوتات بين الدول، فتوسيع الانقسامات الحالية بين رأس مال والعمالة، وبين العمالة الماهرة والغير الماهرة، وبين اصحاب العمل والعمال، وبين المنتجين على مستوى العالمي والمنتجين المحليين [16]. فالحروب التجارية التي شنتها الولايات المتحدة ضد الصين، وتزايده سياساتها الحمائية، فضلاً عن المزيد من الاجراءات الانعزالية في مختلف المجالات، كلها عوامل تعزز المخاوف من احتمال توقف تفاعلات العولمة او حتى تراجعها. وامكانية تفككه الى مناطق اصغر ذات تكامل اقتصادي محدود، فضلاً عن احتمال تحل الانترنيت الى شبكات داخلية مغلقة، او ان تصبح التقنيات التكنولوجية المستقبلية اقل طابعاً عالمياً مع قيام العديد من المناطق بتطوير معاييرها الخاصة للنمو التنموية وفقاً لقيمتها و هويتها. كما يؤدي هذا التحول الى تخصيص رأس مال بكفاءة اقل وتقليل حجم الانشطة الاقتصادية العالمية، فقد تم اتخاذ خطوات رئيسية لدمج الدول والاقتصاديات في تكتلات اقليمية متنوعة داخل النظام السياسي الاقتدى لم يعد تفكيرها يوفر سوى فوائد محدودة مقارنة بتكاليفه المتزايدة. ولهذا فإن الشعوبية قد تبطئ عملية العولمة او تعيق تشكلها بشكل يتوافق مع مصالح الدول الكبرى التي تسعى على الدوام لاستمرار هيمنتها العالمية وبكل الوسائل المتاحة [16].

جاءت النيليرالية بعد نهاية الحرب الباردة كمخرج لازمة رأس مال التي اخذت شكل الركود التضخمي الذي كانت منه دول العالم الاول. فكان الحل الانسب امام رأس المال العالمي تحول من نمط إنتاج لفائض القيمة يتركز في الانتاج الصناعي للسلع، الى رأس مال مالي ينبع من القيمة من السلع مالية، فانتقلت السياسات الاقتصادية الى الدول الغربية من سياسات كنزية توجب الدولة على تقديم شبكة من الرعاية الاجتماعية، الى سياسات نيو ليليرالية تحرر الاسواق المالية والصناعية والتجارية داخلياً وخارجياً، تعتمد هذه السياسات تخفيض الاستثمار العام والضرائب وتضخم الدين العام والخاص، لتبع الدولة عن واجبها في الرعاية الاجتماعية. فتكون تلك السياسات النيليرالية ليست إلا تحفيز لقدرة رأس مال المالي على اعادة انتاج فائض القيمة مع السلع المادية. تأتي الشعوبية لمحاولة ردم لذاك الفجوة وعادة تلك التيارات الشعوبية في لحظات تأرج ازمات النيليرالية [17].

ومن خلال ما تقدم شكل الحكم الشعبي الأثر على الاقتصاد لأنه يتجاهل عادةً قيوداً على الميزانية الصارمة وحوافر السوق، كما الرفع المؤقت لل الاقتصاد بقيادة حكومة منفذة لرفع معنويات الناخبين ورافعهم مؤقتاً، ومع ذلك فإن نفس الحكومة الشعوبية تجعل نفس الناخبين أسوأ حالاً على المدى الطويل. وهي تفعل ذلك من خلال إنفاق أكثر بكثير مما تستطيع تحمله، وإخضاع البنك المركزي والتضخم الاسعار واسع ازدياد اسعار الصرف والازمات المالية [18].

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية للآثار الناجمة عن الشعوبية (دراسة حالة)

من خلال ما تقدم في دراستنا السابقة عن الآثار الناجمة عن الشعوبية وكيف اثرت الشعوبية على الدول الغربية، في هذا المبحث سنعرض النماذج من آثار الناجمة من الشعوبية وينقسم الى نموذجين، النموذج الاول الامريكي، والنماذج الثاني الاتحاد الأوروبي.

المطلب الأول

النموذج الامريكي

عرفت الولايات المتحدة الامريكية ظاهرة الشعوبية منذ تأسيسها في نهايات القرن الثامن عشر لكنها بدأت في الظهور بصورة منظمة على شكل حركة يمينية في بداية القرن التاسع عشر وتم بناء اول تحالف سياسي دائم في امريكا على خلفية حركة شعبية من قبل المزارعين ضد ما اعتبروه قيادة سياسية نخبوية مكرسة للتجارة الحضرية والمصالح المصرفية [6]. كما ان المزارعين الذين يعملون بجد وغيرهم من صغار المنتجين هم العمود الفقري للمجتمع الامريكي، ويمكن تفسير الشعوبية الامريكية في جذورها التاريخية بأنها مقاومة للنقد والتمدن الذي هدد بدمير هذه الاسطورة الشعبية، وانتقل الى جيل جديد من الزراعة الى المدن، لتشكيل طبقة عاملة جديدة ومتدينة من اصحاب المتاجرة الصغيرة والعمال والصناعيين، ومثل ما اعتمدت الشعوبية الزراعية المبكرة في الولايات المتحدة الامريكية على تفوق المزارعين في المجتمع، تعتمد الشعوبية الحديثة على فكرة ان للطبقات الوسطى البيضاء دور كبير على تشكيل المجتمع الامريكي [19].

كما ان ظهور الشعوبية في سياق نتائج الحرب الاهلية الامريكية، قد ساعد على تعاظمها في الظروف الاجتماعية التي فرزها التصنيع والانتشار الاقتصادي مع تردي سمعة السياسيين، وهو ما تكل بتقديم مرشح للحزب الشعبي في الانتخابات 1892، كما قاد الغضب الجماهيري امام هذه التفاوتات الى رفض كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، غير ان فشل المرشح في الفوز شكل ضربة قاتلة للشعوبية عموماً ولزعامتها دون ان تتحقق، حيث ان برنامج الجديد لفرانكلين روزفلت شكل نوعاً من الاعتراف

بالمطالب الشعبية التي رفقتها الحركات الشعبية ضد التجاوزات. وسنوات بعد ذلك، سيقوم رونالد رغان بتركيب جديد ومتناقض بين لليبرالية والشعبوية في خلال نقد جذري للدولة الراعية باسم حقوق الضعفاء والمعوزين، والذين تغتصب مداخلهم من طرف بنيات وسطية طفيلية [20].

وفي القرن الواحد والعشرين شكلت الشعبية موجة شديدة بظهور حزب الشاي في عام 2009، وعد ظهور هذه الموجة بأنه من أكثر التطورات المثيرة للجدل في السياسة الأمريكية منذ سنوات عدة [9]. وبعد حزب الشاي حركة شعبية محافظة نشطة في مواجهة سياسات الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما الاجتماعية والاقتصادية، وقد ركز الحزب على مجموعة من الخرافات ونظريات المؤامرة حول باراك أوباما، دافعاً الحزب الجمهوري إلى الليبرالية [21]. وقد تصاعدت الشعبية في السياسة الأمريكية لاسيما مع صعود ترامب إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية (2017-2021)، فقد استخدمه الخطاب الشعبي في الانتخابات عام 2016 والوصول إلى البيت الأبيض. ذلك يمكن القول أن التوجهات التي يعكسها ترامب ليست غريبة عن المجتمع الأمريكي، بل تمثل توجهات التيار اليميني الجديد الذي تشكل في الولايات المتحدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية [19]. وعلى الرغم من فوز جوزيف بايدن في انتخابات 2021 لكن أكثر من 74 مليون أمريكي دعموا ترامب، اذ ترسخت افكاره عند عدد كبير من المتصارعين الذين يرون في الولايات المتحدة (محافظة المسيحية) عبر الخطاب المناهض لغير المسيحيين البيض والرافضين لحقوق الأقليات [6]. كما حقق دونالد ترامب فوزاً كبيراً في الانتخابات الأخيرة على منافسه كاملاً هاريس، كما استخدم خطاباته الشعبية في نجاح حملته الانتخابية في فرض الاقتصاد والهجرة غير الشرعية بوصفهما أبرز القضايا التي تمحورت حولها الانتخابات. ولم يفز ترامب بأصوات المجمع الانتخابي فحسب، بل تقدم كذلك بالأصوات الشعبية [22].

المطلب الثاني

نموذج الاتحاد الأوروبي

اتخذت الشعبية الأوروبية اتجاهات متباعدة زمانياً ومكانياً، أي أنها مرت بلحظة صعود كبير تلاها تراجع عن هذه الظرفة مع استمرار الصعود النسبي في بعض الدول. فضلاً عن التباين المكاني، بسقوط الشعبية في بعض الدول وصعودها في دول أخرى [23]. وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهرت الشعبية في أوروبا خلال التحول الصناعي، وقد كانت تمثل انتقاداً للتحول الصناعي الرأسمالي، وتستند بشكل أساسي إلى أسس اجتماعية وأخلاقية. كما دعا الشعبيون إلى ان الكف الاجتماعية للتحول الصناعي الرأسمالي غير مقبولة، وتؤدي إلى التشكك في فوائدها. لقد كان معظم الشعبويين في القرن التاسع عشر، من الذين كانوا يعارضون الرأسمالية، ويعبرون عن أنفسهم بالاشتراكين بشكل أو بآخر [15].

وتميز الشعبية الأوروبية فيما يأتي [24]:

أولاً: التشديد على حكم الأغلبية غير المقيد بقيود الليبرالية، ونقد النخب غير المنتجة التي تقيد الديمقراطية مثل القضاة، و ايضاً المؤسسات التمثيلية التي تحد من المشاركة الشعبية. ومن هنا أيضاً تبرير دعوة اليمين الأوروبي الشعبي المتعلقة باللجوء إلى الاستثناءات، والمطالبة بمنع القضاة من التدخل في قرارات الأغلبية بحجة غير دستورية.

ثانياً: نقد الأحزاب الفائمة، إذ تتميز الحركات الشعبوية في أوروبا بتنظيم لا يماثل التنظيمات الحزبية من خلال الالتفات حول شخص أو مجموعة أشخاص وبوجود شبكات شعبية رخوة التنظيم حولها، وبالطبع هناك استثناءات لأحزاب يمينية منظمة تبني خطاباً شعبياً مثل حزب الحرية في هولندا وحزب فورزا إيطاليا، وهي حركات غير منظمة حزبياً بشكل تقليدي خلافاً مثلاً لحزب رابطة الشمال الأطلسي.

ثالثاً: ما يميز الشعبية في أوروبا هو رفض العولمة الرأسمالية، ولا سيما في حالة اليسار الشعبي وان كانت تلتقي مع اليمين الذي يعتبر العولمة وتجاوز الحدود الوطنية خطراً على الثقافة القومية.

شكل تراجع الأيديولوجيات الكبرى كالليبرالية والاشراكية، نتيجة إلى المخاطر الشعبية التي أصبحت تخيم على أوروبا، لكن هذا التخوف بات يتضاعد ويقلق الأوساط الخبرية في أوروبا، إذ باتت العديد من الجهات والاطراف ذات العلاقة تلتمس خطرها، ولا سيما بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وتنامي الموجة (اليمينية المعادية للأجانب)، كما ان هذه المخاوف توجت خلال فترة حكم إدارة ترامب. وهذه المخاطر تؤثر على فرص الاتحاد الأوروبي في وضع سياسات لمواجهة تنامي ومستقبل هذا التيار الشعبي [25].

الخاتمة

تعد الشعوبية من الظواهر السياسية التي لها تأثير كبير على الديمقراطيات الغربية، لأن الشعبوية دائمًا ما تتسم بالخطاب الذي يركز على استياء الجماهير من النخب السياسية والاقتصادية، ويمكن أن يؤدي إلى تغيرات في السياسات والنظام السياسي. لكن رغم ذلك قد أدت الشعبوية إلى تعزيز الوعي بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وزيادة المشاركة السياسية. ومع ذلك، فإنها قد تهدد المبادئ الديمقراطية إذ أدت إلى تقويض المؤسسات الديمقراطية، تهميش الأقليات أو تزايد الانقسامات الاجتماعية، كما أنها ذات خطاب عنصري متطرف.

وتؤدي الشعبوية إلى تأكيل الديمقراطية الأوروبية وقيمها التي بدأ الاتحاد الأوروبي منذ الخمسينات تأسيسها، إذ ان الشعبوبين يهاجمون الاتحاد الأوروبي باعتبار انه محرك للعولمة، وليس نتاجا لها، بينما السياسات المجتمعية الأوروبية المعتمدة تسعى إلى المشاركة في العولمة ودعم الانفتاح، والحفاظ على التضامن والتماسك الاجتماعي. وبالتالي فإن تأثير الشعبوية واضح على الصعيد الغربي وله تأثير كبير.

المصادر

- [1] بشاره، عزمي، (2019)، في الاجابة عن السؤال ما الشعبوية؟، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- [2] داود، وفاء علي، (2023)"الشعبوية المعاصرة في تونس ديمقراطية او هجين تسلطي"، مجلة الدراسات السياسية والاقتصادية، العدد (1)، كلية الاقتصاد، جامعة السويس، مصر، السنة الثالثة.
- [3] عايش، عبد الله، (2020)، تأثير الشعبوية على المواطنة وقضية اللاجئين، في كتاب الشعبوية والخطاب البديل تحولات المنطقة العربية، دار المرايا للإنتاج الثقافي، القاهرة.
- [4] Ballacci, G., & Goodman, R. (2023). Populism as form and content: Toward a holistic approach. *Populism*, 6(1), 1-27.
- [5] Mansbridge, J., & Macedo, S. (2019). Populism and democratic theory. *Annual Review of Law and Social Science*, 15(1), 59-77.
- [6] مهدي، اسيل صالح، (2023)، "تأثير الشعبوية في النظام السياسي الامريكي". مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، العدد (21)، جامعة العراقية، بغداد، السنة الخامسة.
- [7] بير، روزانفالون، (2022)، قرن من الشعبوية: التاريخ والنظرية والنقد، ترجمة محمد الرحمنى، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- [8] البربرى، علا عطية عيسى، (2024)، الشعبوية واسباب ظهورها، مركز شاف للدراسات المستقبلية وتحليل الازمات والصراعات الشرق الأوسط وافريقيا.
- [9] مهدي، مهند حميد، (2022)، سعود اليمين الشعبي الاميركي والتأثير في منظومة العلاقات الاقتصادية الدولية، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
- [10] مجید، عبد الحميد العيد وحسام الدين علي، (2020)"الشعبوية في الشرق الاوسط ماهية الخطاب وخصائصه المقارنة"، مجلة العلوم السياسية، العدد (58)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد.
- [11] غريب، مданى ليلي وحكيم، (2021)، "تراجع جودة الديمقراطية في العالم وخاطر سعود الشعوبية"، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (4)، المجلد (13)، السنة (13)، مركز السنبلة والدراسات،الأردن.
- [12] هادي، حسين عدنان، (2020)"الشعبوية في الولايات المتحدة الامريكية انحسار؟ ام سعود مؤجل؟"، مجلة حمورابى، العدد (16)، السنة (9)، مركز حمورابى للبحوث والدراسات، العراق.
- [13] هلال، على الدين، (2019)، ازمة الانظمة الفكرية الكبرى المعاصرة: الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية والشعبوية"، مجلة التقاهم، العدد (63)، المجلد (17)، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية،الأردن.
- [14] الدينى، يوسف، (2017)، "ماذا تعنى الشعبوية"، مجلة اتجاهات الاحداث، العدد (19)، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، الامارات.
- [15] موتقي، احمد، (2022)، الشعبوية السياسية وظروفها التاريخية والاجتماعية، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، العراق، ص.8.
- [16] محسن، هاشم عبد المطلب، (2025)، أثر الشعبوية في العلاقات الدولية: تحليل الخطاب والهوية من المنظور البنائي، مركز البيان للدراسات والتخطيط، ورقة بحثية، العراق.
- [17] نادين، عبد الله وآخرون، (2020)، الشعبوية والخطاب البديل: تحولات المنطقة العربية، دار المرايا للنشر، القاهرة.
- [18] STANKOV, P. (2022). THE ECONOMIC CONSEQUENCES OF POPULISM.
- [19] ابو صليب، فيصل محيط، (2023)، الشعبوية في السياسة الامريكية: حالة ادارة الرئيس دونالد ترامب (2017-2021)، مجلة سياسات عربية، العددان(64-65)، المجلد (8)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.

- [20] الزين، عبد الفتاح، (2019)، "الشعبوية وظواهرها في المجتمع والدولة"، مجلة الثقافم، العدد (65)، مجلد (17)، وزارة الوقف والشئون الدينية، سلطنة عمان.
- [21] خلف، حسين مزهرا، (2023)، "جذور وتطور ظاهرة الشعبوية في الحياة السياسية الامريكية وأثرها في صنع القرار السياسي"، مجلة حمورابي للدراسات، العدد (47)، السنة (12)، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد.
- [22] الانتخابات الرئاسية الامريكية: اسباب فوز ترامب والتداعيات المحتملة، (2024)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تقرير موقف، قطر.
- [23] ابو العلا، عبد المحيد، (2023)، اتجاهات متباعدة: هل تتراجع مخاطر الشعبوية في اوروبا، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.
- [24] بشارة، عزمي، (2019)، "الشعبوية والازمة الدائمة للديمقراطية، مجلة سياسات عربية، العدد (40)، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.
- [25] عبد المنعم، مروة محمد، (2022)، "الاحزاب الشعبوية ومستقبل الديمقراطية (دراسة في التناقض الحزبي في بعض دول الاتحاد الأوروبي)"، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، العدد (33)، المجلد (33)، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، مصر.